نظريات الجغرافيا السياسية التقليدية:

أولا-المدرسة الألمانية:

1-فريدريك راتزل:

يعتبر من مؤسسي الجغرافيا السياسية، حيث نشر خلاصة أفكاره في كتابه الشهير المسمى الجغرافيا السياسية الصادر عام 1897 ومن مجمل تلك الأفكار نبرزها مختصرة على النحو التالي:

- ✓ تأثير البيئة الجغرافية على الوحدات السياسية، وإعتبار الدولة كائن حي قائم في مجال محدد يجب المحافظة عليه، والعمل بإستمرار على توسيع المجال الجغرافي حتى تصبح الدولة قوة كبرى، ونمو الدولة عبر التوسع هو تجسيد لنظرية النشوء والارتقاء لداروين التي اثرت في الفكر الجغرافي لراتزل.

تقوم الجغرافيا السياسية على مبدأين: المجال الحيوي(الأرض) والموقع الجغرافي، فالقيمة الجغرافية ومستقبل أي دولة على الكرة الأرضية مرتبطان إرتباط وثيق بهذين المبدأين.

الشعور بأهمية المجال الحيوي يجب أن يتوفر لدى السلطة السياسية والشعب على حد السواء، حتى تتمكن الدولة من المحافظة على أراضيها، ففي حال غياب هذا الشعور قد تتعرض الدولة إلى التفتيت والتقسيم إلى دويلات، وتكون مهددة بإستمرار من طرف دول الجوار الجغرافي، وبذلك فإن نمو الدولة يرتبط بثقافة وحضارة شعوب وسكان الأقاليم الجغرافية التي تؤمن بأن التوسع هو نشر لحضارتها ورسالتها العالمية، وهي تقافة تدفع الدولة الى البحث عن مجالات جغرافية أخرى لزيادة مساحتها. ولذلك فإن الدافع الأول للتوسع في الأراضي يأتي من الدول الكبرى ذات الثقافة السامية لتحمل أفكارها الى الجماعات البدائية المتخلفة.

- ✓ يستمر نمو الدولة حتى يصل الى مرحلة الضم بإضافة وحدات صغرى إليها والأرض ومن عليها من السكان يجب أن تميزها عن بعضها البعض إذا أراد إتمام عملية الضم.
- ✓ تعتبر حدود أي دولة العضو الحي المغلق لها، التي تعني سلامة الدولة واستقلالها، وتمكنها من النمو.
- ✓ غاية الدولة في نموها هو إمتصاص وضم الأجزاء الجغرافية ذات القيمة السياسية كالسهول، الأنهار، أو المناطق الساحلية، أو الغنية بالثروات المعدنية.

- ✓ الميل العام للدولة نحو لتوسع والضم ينتقل من دولة إلى أخرى، ثم يتزايد ويشتد على أن الشهية تزداد نتيجة تناولها الطعام.

2-كارل هاوسهوفر:

تأثر بأفكار راتزل، خصوصا بفكرة المجال الحيوي التي تسمح للدولة من النمو، ومن ثم تصبح قوة عظمى، وقد أثرت أفكاره في القائد النازي هتلر، وبالتحديد لما أعتبر بسط النفوذ على المجال الحيوي يرتبط بالعوامل الجغرافية والبشرية، وقد أختزل المشكلة الألمانية في عدد سكانها الكبير الذي وصل قبل بداية الحرب العالمية الثانية إلى 85 مليون نسمة على مساحة جغرافية تقدر بـ 600 ألف كيلو متر مربع، وهي رقعة صغيرة لا تستوعب هذا العدد الضخم من السكان الألمان، ولذلك توجب على ألمانيا التحرك للبحث عن مجالات حيوية تقضي على مشكلاتها الديمغرافية.

ومن أهم أفكاره، إقراره بأن مقومات الدولة القوية ترتكز على خمسة مؤشرات، نبرزها على النحو التالي:

1. الموقع الذي تحتله العاصمة يكون مركزي وسط الدولة لتسهيل الدفاع عنه.
2. عدد كبير من السكان لتوفير الأعداد اللازمة من السكان في سن التجنيد لإمداد الجيش.
3. معدل مواليد مرتفع.
4. إتحاد تام بين السكان والأرض.
5. **توازن عادل** بين سكان الريف والحضر

ثانيا-المدرسة البريطانية:

1-هالفورد ماكندر ونظرية قلب الأرض :

تبنى عالم الجغرافيا السياسية البريطاني "ماكندر" نظرية قلب الأرض في محاضرة " ألقاها في إحدى النشاطات الأكاديمية للجمعية الملكية للجغرافيا عام 1904 إذ كشف عن وجود منطقة محورية عرفت بإسم المحور الجغرافي للتاريخ، كانت لها الأثر الكبير في تفاعلات العلاقات الدولية في مختلف مراحلها التاريخية، كونها شكلت نقطة الإرتكاز الجغرافي في صنع تاريخ الإمبراطوريات القديمة، حيث يضم قلب الأرض أقاليم جغرافية إستراتيجية في العالم، أبرزها سهول شرق أوروبا وسهول شرق ووسط أسيا.

وقد رسم "ماكندر" إرتكازا على أهمية تلك الأقاليم في أوقات الحروب، صورة عريضة لحركة التاريخ تتحكم فيها حملات من الغزوات البرية عبر السهوب من الأعماق المجهولة لآسيا، وعبر الممر الرئيسي

من جبال الأورال وبحر قزوين، حيث تسير هذه الحركة من المراكز تجاه الأطراف، بحيث سمحت تلك الغزوات من فرض الشعوب الطورانية البدوية سيطرتها على الشعوب والأمم الأخرى، وبذلك أعتبرت تلك الأقاليم حسب "ماكندر" المحور الجغرافي للتاريخ الذي مكن الشرق للسيطرة على الغرب، ومن ثم أصبح قلب الأرض مركزا لتصدير إستبداد وتسلط الشعوب والأنظمة الشرقية المعتدية على أوروبا الديمقراطية.

قامت نظرية "ماكندر" هذه على فرضية رئيسية، مفادها أن الجزء الداخلي من أوراسيا هو مركز العالم سياسيا، مقرا في الوقت ذاته أن السيطرة على هذا المركز الذي يضم أكبر كتلة أرضية في العالم سوف يسمح بالسيطرة العالمية، ولا شك أن القوة البرية التي تبسط نفوذها على قلب الأرض ستنافس بنجاح القوى البحرية العالمية، وكان ماكندر بفرضيتيه هذه يقصد التنافس الدولي الذي كان يدور بين القوى البرية وعلى رأسها روسيا والصين وألمانيا والقوى البحرية وعلى رأسها بريطانيا، وهذا ما يفسر أن تلك النظرية قامت في سياق التفرع الثنائي للنزاعات بر / بحر بين القوى البرية والبحرية المعروفة تاريخيا وكان قلب الأرض محور تلك النزاعات خاصة في القرن الثامن عشر بين روسيا القيصرية كقوة قارية وبريطانيا كقوة بحرية للسيطرة على شبة الجزيرة الهندية.

بيد، أن الأفكار التي عرضها ماكندر في خضم صراع القوة القارية والقوة البحرية قد تغيرت نسبيا بسبب الاضطراب الإيديولوجي والجيوسياسي الناتج عن الثورة البلشفية، ففي كتاب بعنوان "أفكار ديمقراطية وواقعية " الصادر في عام 1919 راجع " ماكندر " بعض أفكاره بخصوص نظريته الأولي، حيث أستعمل لأول مرة مصطلح "قلب الأرض" بدلا من المحور الجغرافي للتاريخ، إذ برز الاتحاد السوفييتي كقوة قارية ترغب في التقدم والتوسع نحو أوروبا الشرقية والمياه الدافئة من أجل السيطرة على مجمل قارة أوراسيا، ومن ثم طرد القوى البحرية، وكنتيجة لهذا الوضع الجيوسياسي الجديد أضاف في تعديله مناطق جديدة للقلب الأوراسي يشمل شرق أوروبا ويمتد حتى نهر الألب معتبرا الاتحاد السوفياتي السابق ومجموعة الدول المستقلة عنه حديثا المنطقة المحور من أوراسيا.

وقد شكلت آسيا الوسطى إضافة إلى القوقاز حسب المفهوم الجغرافي الجديد لماكندر المفتاح الاستراتيجي لمحاولات السوفيات السيطرة على شرق أوروبا، ولذلك يفهم على نحو أفضل الجهد الذي بذلته بريطانيا في القرن التاسع عشر كقوة بحرية من أجل حرمان الدولة السوفييتية من عمقها الاستراتيجي الجنوبي على إعتبار وسط آسيا والقوقاز من المناطق الإستراتيجية الهامة المتحكمة في قلب أوراسيا ، كما اعتبرت طيلة الحكم السوفييتي أحد الركائز الأساسية لأمن السوفيات القومي بحكم مجاورتها لدول تحالفت مع الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الباردة، ناهيك عن كون آسيا الوسطى قلعة طبيعية كبيرة

حصينة لما تتوفر عليه من سهول محاطة في معظم جوانبها بحواجز طبيعية أكثرها جبال وهضاب، حيث أعتبر السوفيات جغرافية المنطقة وخصائصها الطبوغرافية بمثابة الحصن الطبيعي للأمن القومي السوفييتي، وهنا يجب ملاحظة أن وضع قاعدة عسكرية على احد تلك الحواجز يعني الإشراف الكامل على القلب الأوراسي، وقد رشح "ماكندر" روسيا أو ألمانيا للسيطرة والتحكم في هذا القلب، وتعبر هذه الفرضية في واقع الأمر عن مخاوف البريطانيين من نشوء دولة قارية برية كبرى في منطقة قلب الأرض تمتلك القدرة على بسط نفوذها في المناطق المجاورة، ومن ثم السيطرة على قارة أوراسيا بمجملها.

لقد حدد " ماكندر " في نظريته أن منطقة القلب الأرضي محاطة بما أسماه بالهلال الهامشي الداخلي والهلال الجزيري الخارجي، ويعد الأول في نظره الهدف الغربي والجنوبي والشرقي من قلب الأرض أو منطقة الاتصال بين الأراضي القارية والبحار ويشمل شبه الجزيرة الإيبرية، ايطاليا، البلقان، اليونان، تركيا، الشرق الأوسط، الخليج العربي، باكستان، الهند....، في حين يتكون الهلال الخارجي من بريطانيا، اليابان، أمريكا، إفريقيا، اندونيسيا، استراليا، وهي دول تقع على أطراف الهلال الداخلي مع وجود منطقة في الوسط مشكلة من الصحراء، ويخشى " ماكندر " من أن تتوسع منطقة قلب الأرض نحو الأطراف الخارجية، مما يفسح المجال للقوى البرية من السيطرة على أوراسيا، وعلى هذا الأساس أحتمل إمكانية تحالف القوى البحرية من الهلال الخارجي مع القوى المتواجدة في الهلال الداخلي لمنع قوة وحيدة للتحكم وبسط النفوذ على الأوراسيا، وأعتبر " ماكندر " أن الأسوأ في التهديدات الممثلة بالاندفاع نحو الشرق تأتي من قبل ألمانيا غليوم الثاني في المرحلة الأولى، حتى من قبل التحالف القاري الروسي الألماني حسبما هو محتمل، وأن سيناريو الوحدة الجيو سياسية بين هذين القوتين البريتين في القارة الكبرى قد يضع حدا للتفوق العالمي الأنجلو ساكسوني، إذ يدعو ماكندر بإقامة حزام من الدول خاصة من دول أوروبا الشرقية قابل لأن تشكل منطقة سد بين ألمانيا وروسيا لمنع تحالفهما في منطقة القلب.

إن التمعن في فكر ماكندر، يقودنا إلى الإقرار بحجم المخاوف التي كانت تساور العالم في القرن العشرين من نشوء دولة قارية كبيرة في منطقة قلب الأرض تمتلك القدرة على التوسع في المناطق المجاورة في قارة أوراسيا, فتقوم باستغلال مصادرها الضخمة وتطور طرقها البرية، ومن ثم تغزو مجمل اليابسة والبحار للكرة الأرضية لتظهر في الأفق كإمبراطورية عالمية تتحكم في تفاعلات العلاقات الدولية، وبهدف الوقوف في وجه ذلك الرهان الجيو–إستراتيجي للقوة القارية المحتملة، فقد خلص عالم البريطاني إلى فرضية رئيسية مفادها : أن من يسيطر على أوروبا الشرقية يتحكم في قلب الأرض.

ثالثا–المدرسة الأمريكية:

نيكولاس سبيكمان ونظرية حافة الأرض:

عرض عالم الجيوبوليتيك الأمريكي " سبيكمان " في كتابه " جغرافية السلام " الصادر عام 1944 نظرية، ركز فيها على المنطقة المحورية التي يدور حولها التنافس الدولي بين القوى البحرية والبرية، وأعتبر أن الهلال الهامشي الكبير الذي أسماه حافة الأرض الذي يضم كل من أوروبا وشبه الجزيرة العربية والعراق، وآسيا الوسطى، وإيران، وأفغانستان، والهند، وجنوب شرق آسيا، والصين، وكوريا هو المنطقة الوسيطة الواقعة بين قلب الأرض (روسيا في نظره) والبحار المشاطئة.

وقد قامت نظرية " سبيكمان " هذه على أنقاض نظرية " ماكندر "، إذ قلل من بعدم المبالغ الأهمية الجغرافية والإستراتيجية لقلب الأرض واصفا تلك النظرية بالمبالغ فيها، مقدما فرضية مفادها أن التاريخ الجغرافي للحافة أو الأرض الإطار قد نشأ من تلقاء نفسه وليس بتأثير من قلب الأرض الذي يعتبره مجرد مصب لروافد الحضارة من المناطق الشاطئية، وعلى هذا الأساس تعد حافة الأرض الشريان الذي يمد هذا القلب الحياة بحكم ما تحتوي عليه من مقومات جيو إستراتيجية، فهي تمتلك ثلتي سكان العالم، وتنتج ثلتي الناتج الإجمالي العالمي، وتتضمن أكبر دولتين من حيث عدد السكان والمساحة (الصين، والهند) فضلا على ما تمتلك من موارده طبيعية غنية، وممرات برية وبحرية، وقدرات نووية، الأمر الذي يجعل من تلك المنطقة ساحة لصراعات دولية مستمرة، وقد وصف " سبيكمان " هامش الأرض أو الحافة بمفتاح السياسة العالمية، في حين أطلق على قلب الأرض تسمية الكتلة الأرضية الميتة أو القلب الميت كونه حبيس الحافة، يضاف إلى ذلك أن أكثر من نصف أراضي القلب هي عبارة عن أراضي موحشة جافة تحتلها مساحات شاسعة من الغابات المخروطية الباردة وأراضي الصقيع الدائم، كما أنها أراضي قليلة الثروات مقارنة بثروات الأرض الهامشية.

وقد خلص " سبيكمان " إلى فرضية، مفادها أنه من يهيمن على الأرض الإطار أو الهامش يسيطر على أوراسيا، ومن يتحكم في أوراسيا سوف يسيطر على العالم، وهي فرضية متناقضة تماما مع ما طرحه ماكندر في نظرية قلب الأرض، وقد تأسست نظرية حافة الأرض واقعيا على تجربة الحرب العالمية الثانية التي تحقق فيها نصر الحلفاء خلال سيطرتهم على الشواطئ واليابسة في أغلب مناطق حافة الأرض أو الهلال الهامشي الكبير.

فقد كان لتلك التجربة الأثر الكبير في إعداد السياسة الخارجية الأمريكية، وهي في الحقيقة أصل عقيدة الاحتواء التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب الباردة معتبرة تلك الرقعة الجغرافية بمنطقة إرتطام التي دارت فيها صراعات دولية من أجل السيطرة على ممراتها ومواردها الطبيعية، وبما أن روسيا

هي القلب وتعد بمثابة الظهير الخلفي للأرض الهامشية تسعى دوما من خلال التوغل فيها كقوة قارية الوصول إلى البحار والمحيطات، فيتوجب على الولايات المتحدة الأمريكية منع التوسع والمد الروسي السلافي عبر تلك المنطقة بإعتمادها على سياسة الإحتواء.

وتعزيزا لهذه الفكرة أعتقد " سبيكمان " أن الإتحاد السوفييتي السابق لم يكن يمتلك الوسائل للسيطرة على العالم مادام لم ينجح في الإستحواذ على الأرض الحافة، ولذلك أكد هذا المنظر على إستمرار المنافسة البرية البحرية على هذه الرقعة الجغرافية الهامة في السيطرة على أوراسيا في إطار سيطرة القوى البحرية على القوى البرية أو القارية وقد مثلت حافة الأرض حسب سبيكمان.

يتضح من خلال عرض فحوى نظرية الأرض الحافة، أن هذا النوع من التفكير الجيوبوليتيكي قد مثل الخلفية التي قامت عليها نظرية الإحتواء التي طرحها جورج كينان عقب الحرب العالمية الثانية لتطويق الإتحاد السوفييتي وحرمانه من التوسع إنطلاقا من هذه المنطقة التي إعتبرت في الفكر الإستراتيجي الأمريكي منطقة إلتقاء وتصادم بين القوى البرية والبحرية في أوقات السلم والحروب، ولذلك أوصت المدرسة الأمريكية المدافعة على القوة البحرية بضرورة تبني الولايات المتحدة الأمريكية كقوة بحرية عقيدة الإحتواء في ظل توقع بروز قوة برية أوراسية تسعى للهيمنة الشاملة على حافة الأرض، ومن ثم منع هذه القوة لبسط نفوذها على كامل أوراسيا.